

التوحيد في العبادة ... إشكالية المفهوم والمصداق-2

- 1- وأصل العبودية الخضوع والذل . كما في الصحاح [1] ولسان العرب . [2] ومختار الصحاح [3]
- 2- قال الراغب في المفردات: "العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأزرها غاية التذلل، ولا يستحقّ إلاّ من له غاية الإفضال وهو □ تعالى ولهذا قال: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...} [4].
- 3- بمعنى اللين والذل كما في معجم مقاييس اللغة . [5]
- 4- بمعنى الطاعة كما في القاموس المحيط .

التوحيد في العبادة

ونعني به أنّ العبادة لا تكون إلاّ □ وحده ، وأزرها لا يستحق أحد أن يتخذ معبوداً مهما بلغ من الكمال والجلال وحاز من الشرف والعلاء .

فالمعبود هو الذي لا يفتقر إلى شيء وتفتقر إليه الأشياء ، الخالي من كل عيب ونقص ، وكما يعبر الفلاسفة هو (الكمال المطلق) .

والكلام في هذا العبد المخلوق ما الذي يدفعه إلى عبادة المعبود وإظهار الذل والخضوع والطاعة له بل إظهار العبودية له وهذا ما نسميه بمقومات العبادة والذي ينظر إليها كل إنسان بوجدانه الواعي وفطرته السليمة ويمكن بيانها كالتالي:

مقومات العبادة □ :

إن العبادة - أي عبادة - والتي تتحقق العبودية هي التي ينظر العابد فيها إلى أمور ومقومات لذلك المعبود وهذه المقومات يمكن بيانها كالتالي :

1- أن يكون خالقاً :

فالعابد ينظر إلى معبوده بأنه خالقه وهو من خلق الوجود كل الوجود.

قال سبحانه: {قُلِ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَّاحِدُ الْقَهَّارُ} (الرعد - 16)

وقال سبحانه: {اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (الزمر - 62)

وقال سبحانه: {ذٰلِكُمْ اللّٰهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَآَنزَلْنٰى
تُؤُوقُ فَاكُوْنَ} (غافر - 62) .

وقال سبحانه: {ذٰلِكُمْ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَّا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَآءبُدُوْهُ
وَهِوَّ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (الأنعام - 102) .

وقال سبحانه: {هُوَ اللّٰهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ ۗ اَسْمَاءُ الْاَحْسَنِ} . (الحشر - 24) .

وقال سبحانه: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّٰهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَا
إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَآَنزَلْنٰى تِؤُوقُ فَاكُوْنَ} (فاطر - 3)

وقال سبحانه: {أَنزَلْنٰى يَكُوْنُ لَهُ ۗ وَلَدٌ وَلَمْ ۗ تَكُنْ لَهُ ۗ صَاحِبَةً ۗ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهِوَّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ} (الأنعام - 101) .

وقال سبحانه: {أَلَا لَهُ ۗ الْخَلْقُ ۗ وَالْأَمْرُ ۗ تَبٰرَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ} (الأعراف -

54)

فمنطوق ومفهوم الآيات أن لا خالق غير الله لهذا الكون وما فيه وما يجري فيه (هل من خالق غير الله) .

ولذا جاء الاعتراض على الكفار {وَلَا تَدْعُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ بِأَسْمَاءِ مَا سَمَّوْا بِهِ مِنَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَاءِ وَالشَّجَرِ الْمُمْسِقِ وَالْأَنْعَامِ لِيُقَدَّرَ بِهِ سَبْعُونَ مِائَةً أَلْفًا وَمِائَةً عَشْرًا} العنكبوت/61

وقال جل شأنه : {وَلَا تَدْعُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ بِأَسْمَاءِ مَا سَمَّوْا بِهِ مِنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
لِيُقَدَّرَ بِهِ سَبْعُونَ مِائَةً أَلْفًا وَمِائَةً عَشْرًا} الزخرف/87

وهذا ما نطلق عليه التوحيد في الخالقية، وهو الاعتقاد بوجود خالق لهذا الوجود وهو الله.

2- أن يكون إلهاً واحداً :

والعابد ينظر إلى أن معبوده هو إله هذا الكون ولا يوجد إله غيره والإله هو المتصرف المدبر، أو من
بيده أزمّة الأمور. وهذا يفرض العقل مثبت ولكن القرآن تعرض إلى ذلك في مناسبات عديدة:

{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} (الأنبياء/22)

{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ دُونِ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ خَلْقَ
وَالْعَلَا بِعِزَّتِهِمْ عَلَى بَعْضِ} (المؤمنون/91).

{قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبِئْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا}
(الإسراء/42)

ومن هنا يقرر القرآن إن الإله واحد لا غير:

قال تعالى : { قل هو الله أحد }... إلى آخر السورة .

وقال تعالى: {وَاللَّهُ يَكْفُرُ بِالْمُشْرِكِينَ وَإِلَهُهُ الْوَاحِدُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}
البقرة/163

وقال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَوَعَدُ اللَّهِ عِزٌّ لَكَ
إِلَّا إِلَهُهُ وَوَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ مِنْ رَبِّكَ لَقَدْ كَفَرُوا

مِنْهُمْ ° عَذَابٌ أَلِيمٌ { المائدة/73 ، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا .

فالعايد إنما ينظر إلى معبوده بأنه المتصرف الوحيد في هذا الكون ولا يوجد متصرف غيره . لذا ينبيه القرآن إلى أن المشركين يعتقدون أن هناك من يتصرف في هذا الكون ويمكن اللجوء إليه لذا يتخذون مع إلهاء آخر، كما في قوله تعالى:

{الَّذِينَ يَدْعُونَ مَعَ إِيَّاهُ آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (الحجر/96).

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ إِيَّاهِ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} (مريم/81).

{أَتَدْعُونَ كُفْرًا لَدُنَّكُمْ لَتَدْعُوهُنَّ أَنْ تَكُونَ مَعَ إِيَّاهُ آخِرًا} (الأنعام/19).

لذا فإن إلهاء يقرر عليهم أنهم وما يعبدون من دونه في نار جهنم :

{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ إِيَّاهُ حَصَبٌ جَهَنَّمِ أَزْتُمُّ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هُوَ لِآلِهَتِهِ مَا وَرَدُوهَا} (الأنبياء/98-99)

وهذا ما نعبر عنه بالتوحيد في الألوهية ومعناه أنه لا إله في هذا الكون إلا إله واحد متصرف في هذا الكون.

3- أن يكون رازقاً:

والعايد ينظر إلى معبوده أنه هو رازقه والمنعم عليه والمتفضل بكل النعم منذ خلقه وإلى أن يرجع إليه .

لقد وردت آيات كثيرة تقرر أن إله سبحانه وتعالى هو الرازق الوحيد منها قوله تعالى:

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (الروم:40)

{وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ فَمَا الَّذِيْنَ فَضَّلْنَا وَبِرَادِى رِزْقِهِمْ عَلٰى مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِىهِ سَوَآءٌ اَفَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُوْنَ} (النحل:71)

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْاَرْضِ اِلَّا عَلٰى اللّٰهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُّبِيْنٍ} (هود:6)

{وَكَآيِىْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّٰهُ يَرِزُقُهَا وَاِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِىْعُ الْعَلِيْمُ} (العنكبوت:60)

{اَمْ مِّنْ هٰذَا الَّذِى يَرِزُقُكُمْ اِنْ اَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجَّوْا فِى عُتُوٍّ وَنُفُوْرٍ} (الملك:21)

{وَلَا تَقْتُلُوْا اَوْلَادَكُمْ مِنْ اِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَاِيَّاهُمْ} (الأنعام: من الآية151)

{قُلْ مَنْ يَرِزُقُكُمْ مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَمْ مِّنْ يَمَلِكُ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيَّتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْاُمُْرَ فَسَيَقُولُوْنَ اللّٰهُ فَقُلْ اَفَلَا تَتَّقُوْنَ} (يونس: 31)

{اَمْ مِّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ وَمَنْ يَرِزُقُكُمْ مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِلٰلَهٌ مَّعَ اللّٰهِ قُلْ هَاتُوْا بُرْهٰنَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ} (النمل:64)

{قُلْ مَنْ يَرِزُقُكُمْ مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ قُلِ اللّٰهُ وَاِنْ زُتَا اَوْ اِيَّاكُمْ لَعَلٰى هُدٰى اَوْ فِى ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ} سبأ 24

{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّٰهِ يَرِزُقُكُمْ مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ فَاتَّخَذُوْا زُجُوْرًا فَاكُوْنُ} (فاطر:3)

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْزِفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ...} (يس:47)

وهذا ما نعبر عنه بالتوحيد في الراقية، ومعناه أنه لا رازق في هذا الوجود إلا الله . وغيره من البشر إنما يكونون أسباباً في إيصال الرزق إلى العباد لا أنهم هم الراقين فتأمل .

4- أن يكون رباً :

الربُّ في الأصل: مصدرٌ ربَّ يَرْبُّ ، بمعنى: نشأ الشيءَ من حال إلى حال التمام، يُقالُ: ربَّه وربَّاه وربَّاه وربَّاهُ، فلفظ (رب) مصدر مستعار للفاعل، ولا يُقالُ: (الربُّ) بالإطلاق إلا في تعالى المتكفل بما يصلح الموجودات، نحو قوله: {رَبِّ الْعَالَمِينَ}، {رَبِّكُمْ} و{رَبِّ آيَاتِكُمْ} {الْأَوْلِيَّينَ} .

ولا يقال لغيره إلا مضافاً محدوداً، كما يقال: رب الدار؛ وربُّ الفرس . يعني صاحبها، ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: {اذْكَرْ نَبِيَّ عِنْدَ رَبِّكَ فَآَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبَّهُ} . وقوله تعالى: {قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ} . {أَمَّا أَحَدُكُمْ فَتَيِّسٌ قَبِي رَّبَّهُ خَمْرًا} .

وفي الحديث في ضالة الإبل: حتى يجدها ربها [6].

فتبين بهذا: أن الرب يطلق على الله معرفاً ومضافاً، فيقال: الرب، أو رب العالمين، أو رب الناس، ولا تُطلق كلمة الربِّ على غير الله إلا مضافة، مثل: رب الدار، ورب المنزل، ورب الإبل .

والرب من يقوم بإصلاح وتدييره شؤون مخلوقه، وتربيته، والعايد ينظر إلى أن معبوده أنه هو المدير والمربي وأنه رب الأرباب، فإن كل من يطلق عليه رب - بمصطلح أهل اللغة - فهذا المعبود هو ربه وهذا الرب في المفهوم القرآني متصف بما يلي:

{رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الصفات/5) وهو رب العالمين كما في الفاتحة {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّيَ وَرَبَّكُمْ} (المائدة/72)

{إِنَّ رَبَّيَ وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} (آل عمران/51).

{إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}.

وقد فَطَرَ ا [جميع الخلق على الإقرار بربوبيته ؛ حتى إن المشركين الذين جعلوا له شريكًا في العبادة يقرون بتفرده بالربوبية، كما قال تعالى: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ}.

ومن هنا فإن ا [ليؤكد لنا أنه هو الرب: {فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعُدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ}.

وأنه خير الأرباب سواء المصنعة أو الأرباب الحقيقة التي تضاف لها لفظة الربوبية :

{أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}.

وهذا ما يعبر عنه بتوحيد الربوبية، ومعناه أنه لا رب لهذا الكون إلا رب واحد وهو ا [، المربي والمدبر والمتصرف فيه، قال سبحانه: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَارُونَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمُورَ}. الرعد-2

فيعد أن ذكر خلق السماوات والأرض، ذكر تدبير أمر الخلقة، وربوبيتها فيُحصره في ذاته فلا مدبر ولا رب إلا هو، فيكون الخالق هو الموجد، والرب والمدبر لأمر الخلقة ودوامها واستمرارها.

ولكونه هو المدبر والمتصرف في شأن هذا الكون وبإرادته فقد أخضع بعض التغييرات لبعض الأفراد كما في قوله في حق الملائكة {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} [النازعات/5]، وقوله {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ

عِبَادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً [الأنعام /61]. وهذا لا تنافي بينه وبين التوحيد في الربوبية والآيات التي مرّت ، فإن [] في هذه الآيات هو من أَمَرَ الملائكة بتدبير هذه الأمور أو تلك ، وهو من أرسل الحفظة لحفظ الناس فبأمره يتصرف هؤلاء وتحت إرادته ، وليس بإرادتهم وتحت تصرفهم ، تماماً كما يفعل مدير الشركة مع موظفيه فليس للموظفين القيام بشيء من تلقاء أنفسهم بل بأمر مديرهم، فهل الإيمان بأن ملك المطر ينزل المطر وقابض الأرواح يقبضها وغير ذلك يعني فقدان الشخص التوحيد في الربوبية ؟

كلا ، بل إنهم يتصرفون حسب إرادته ، ويدبرون حسب مشيئته .

والرب هنا بمعنى الإله مفهوماً ومصداقاً وسيوضح هذا أكثر فيما سيأتي .

إلى هنا نقول إن هذا المعبود يتصف بأنه هو الخالق والرازق والإله والرب المتصرف والمدير لهذا الكون . وليس نظر العابد إلى هذا فقط بل ينظر إلى أمور أخرى يجدها في معبوده وهي كالتالي :

5- أن يكون الملجأ لكل الصعاب :

إن المعبود لا بد أن يتصف ببعض الصفات التي تدعو العباد للجوء إليه ، فإن المشركين كانوا ينظرون إلى معبوداتهم أنها تخلصهم من الأضرار والآفات وهي المحقق لرغباتهم وغير ذلك ، فمثلاً العابد ينظر إلى أن المعبود - وهو [] - هو الذي يتوفى الأنفس كما في آيات مختلفة كقوله {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِلَّهِ كُنُودُ الْعِبَادِ فَتَتَوَفَّوْاْ كُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُنِزِّلِينَ} يونس: ١٠٤

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّوْاْكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُتُورِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} النحل: ٧٠

وَلَتَنذِرُنَّ نَظَرَ إِلَى أَن الملائكة تقبض الأرواح كما في {قُلْ يَتَوَفَّوْاْكُمْ مَلَائِكُ الْمَمُوتِ} الَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ ثُمَّ يَرْجِعُكُمْ تَرْجِعُونَ} [السجدة: ١١] فلكونها مأمورة منفذة ولكونها كذلك لا يلجأ إليها العابد ولا يرى أنه يمكن أن تدفع عنه الموت عندما يلجأ إليها

فملك الموت ليس بيده شيء على الإطلاق فما هو إلا أداة لتنفيذ أمر الله ليس إلا.

وعلى هذا ففس كثيرًا من الأمور، فمثلًا الشفاعة إنما هي {قُلْ} الشفاعة {جَمِيعًا} (الزمر/44). وَلَئِنْ عَلِمَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُ وَلَكِنْ فِي حُدُودِ رَغْبَةِ اللَّهِ وَلِذَا فَهُوَ يَلْجَأُ إِلَى شَفَاعَةِ اللَّهِ وَيَتَأَمَّلُ أَنَّ يَكُونَ أَحَدَ الْمُؤْمِنِينَ شَافِعًا لَهُ كَرَسُولِ اللَّهِ مِثْلًا .

وإذا رغب في غفران الذنوب فليس أمامه إلا {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ لَدَيْهِ الْمَصِيرُ} [غافر: 3]

فإنه غفار الذنوب بل {وَمَنْ يَغْفِرْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ} (آل عمران/135).

وهذا واضح من أن الله -الذي هو المعبود - هو ملجأ العباد كلهم في سرهم وضرهم

6- أن يكون الدعاء للمعبود :

وهنا مربط الفرس والإشكال الأهم وهو: هل أن الإنسان يدعو المعبود أو يدعو غيره؟ وبعبارة أوضح: هل أن الشيعة يدعوون الله أو يدعوون أصحاب القبور؟

بعضهم يتهمنا أننا عبدة القبور، ولما يحرر ماذا نفعل؟

عندما نصلي وندعو الله بجوار قبر الرسول (ص) هل أننا ندعو الله أو ندعو رسول الله؟

الخلط الذي وقع فيه إخواننا السنة هو اعتقادهم أننا ندعو صاحب القبر، ولذا قالوا أننا نعبدهم!

والحق أن الشيعي يرى أن المدعو هو الله في أي مكان ، وفي أي زمان وأن صاحب القبر لا يوجه إليه السؤال، وإنما يوجه السؤال إلى الله، ونحن نعتقد أن المعبود هو المدعو والعكس صحيح، انطلاقًا من قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} (الفرقان- 68).

وسوء الفهم من إخواننا السنة أنهم يفترضون أولًا أننا نعبد أصحاب القبور كما يعبد المشركون الأصنام، ونقربهم إلى الله زلفى كما هو رأي المشركين انطلاقًا من قوله تعالى {مَا نَعْبُدُهُمْ

إِلاَّ لِيُقَرَّرَ بُوْنًا إِلَى اللّٰهِ زُلْفَىٰ ، وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّٰهِ مَا لَا
يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ}.

وأما نحن فلا نعبدهم حتى نقرّبهم إلى □ زلفى {قُلْ أَدْعُو مِن دُونِ اللّٰهِ مَا لَا
يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّٰهُ
كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى
الهُدَىٰ انْتِنَا قُلْ إِنِّي هُدَىٰ اللّٰهِ هُوَ الْهُدَىٰ □ وَأُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ} الأنعام: ٧١، كما أن هذه الآيات جاءت في سياق الكفار وعبدة الأصنام لا في سياق من
يتشهد الشهادتين فلاحظ بارك □ فيك.

ثمة شيء هنا وهو أن دعاء الكافر يختلف عن دعاء المسلم ، فالكافر يدعو من لا يستجيب له {لَهُ
دَعْوَةٌ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ
كِبَاسًا كَفَّيَّهُ} إِلَى الْمَاءِ لِيَبْدُلَغَ فَاَهُ وَمَا هُوَ بِبِدَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ
الْكَا فِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ} الرعد: ١٤

بل إن الكفار يدعون أناساً يعتقدون أنهم يخلقون ، وهم مخلوقون كبقية المخلوقات لذا يندد القرآن
بهم بقوله تعالى : {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّٰهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ
يُخْلَقُونَ} النحل: ٢٠ وقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ
يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِيُّ} الحج: ٦٢
وقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ
الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِيُّ} الكهف: ٣٠

ولكن المسلم يدعو □ ولا يدعو غيره {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللّٰهِ إِلَهًا آخَرَ
وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ} وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} الفرقان: ٦٨. بل إنهم إذا دعوا □ {تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}
السجدة: ١٦. لذا يخاطب □ رسوله : {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} الكهف: ٢٨

وهذه المقومات الستة هي المقومات في المعبود المفترض وهي لا توجد إلا في ا فقط ، وما دونه فهم
عبيد له .

وللحديث تنمة